الوحدة الموضوعية في سورة فصلت

دراسة تحليلية

د. محمد حزام الخياطي

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

بجامعة عمران

mhs22442@gmail.com

©نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: الخياطي، محمد حزام، الوحدة الموضوعية في سورة فصلت- دراسة تحليلية، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، المجلد: 19، العدد: 1، 2024: 143-192.

تاريخ استلام البحث: 2024/01/17م تاريخ قبوله للنشر: 2024/02/14م

DOI: https://doi.org/10.61821/v19i1.0157

الملخص:

هذه الدراســـة تهدف إلى بيان مظهر من مظاهر إعجاز القرآن، والمتمثل في الوحدة الموضـوعية للسـورة القرآنية، وكانت سـورة فصـلت هي المثال التطبيقي للوحدة الموضـوعية في السورة القرآنية، وقد تناول البحث بيان الوحدة الموضوعية في سورة فصلت، وبيان مقاصدها وغرضها، ومحورها الرئيس، ومحاورها الفرعية.

وقد تبين من خلال الدراسـة أن السـورة اشـتملت على مجموعة من المعاني والمقاصـد، مع وحدة موضوعها وترابط أجزائها، وأنها على غاية من الانسجام والاتساق في سياقها، وأن محاور السورة الفرعية مُفَصِّلة في أحداثها وسياقها لموضوع السورة العام.

الكلمات المفتاحية: وحدة- موضوعية- فصلت.

Thematic unity in Surat Fussilat- An analytical study

Dr. Mohammed Hizam Al-Khayati
Assistant professor in the department of Quran and its sciences
Amran University

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
Citation: Al-Khayati, Mohammed Hizam, Thematic unity in Surat Fussilat- An analytical study, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, volume: 19, issue:1, 2024:143-192.
DOI: https://doi.org/10.61821/v19i1.0157
Received: 17/01/2024 Accepted: 14/02/2024

Abstract:

This study aims to elucidate a facet of the Quranic miracles, specifically focusing on the thematic unity within Quranic chapters. Surah Fussilat serves as the practical application of thematic unity in Quranic chapters. The research delves into explicating the thematic unity in Surah Fussilat, along with its purposes, objectives, main axis, and sub-themes. The study reveals that the Surah encompasses a spectrum of meanings and

objectives, maintaining a thematic core with interconnected parts. It demonstrates a high degree of harmony and coherence within its context, highlighting detailed sub-themes that intricately contribute to the overall theme of the Surah.

Keywords:

Unity, Thematic and Fussilat.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: 29]، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وبعد.

فإن كتاب الله هو المعجزة الخالدة، فهو معجز في معانيه، ولغته وأسلوبه، ولذا كان النظر فيه، وتدبر آياته وتجلية معانيه، وبيان حججه، ومعالم إعجازه، من أشرف الأعمال، ولهذا الاعتبار فقد بذل العلماء من سلف وخلف جهدهم، واستفرغوا هممهم في استخراج أحكامه وحكمه، وبيان مقاصده، وإعجاز تركيبه، ونظمه.

وإن من مظاهر إعجاز القرآن وعظمته وحدته الموضوعية، التي جعلته كالجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة.

وهذه الدراسة الموجزة إسهام في بيان صورة من صور الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، بعنوان، (الوحدة الموضوعية في سورة فصلت)، وتهدف لبيان الموضوع الرئيس الذي أبرزته السورة، وما اشتملت عليه من الحِكم والفوائد من خلال التأمل في آيات السورة.

سائلا الله التوفيق والسداد.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تظهر أهمية دراسة هذا الموضوع في سورة فصلت من خلال الآتي:

1. أن البحث في هذه الموضوعات قيام بواجب التدبر للقرآن الكريم، فدراسة نظم القرآن ووحدته الموضوعية من أهم الأسباب المعينة على التدبر، والفهم لأحكامه، وحِكمه، ومقاصده.

2. أن إبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية يعتبر نوعًا من التجديد في التفسير، وإضافة إلى جهود المفسرين والعلماء المتقدمين.
3. تعد دراسة الوحدة الموضوعية – من خلال سور القرآن الكريم- وسيلة لبيان وجوه الإعجاز فيه، لأن" كل من غفل عن نظام الآيات، لا يمكنه أن يستمتع بجمال القرآن، ولا يمكنه أن يدرك ميزته التي تخصه من بين سائر أنواع الكلام"(1).
4. أن الاهتمام بالوحدة الموضوعية يؤدي إلى تضييق هوة الخلاف والجمع بين الأقوال، والوجوه المختلفة المتباينة في التفسير.
5. لما تضمنته السورة من أساليب ووسائل الدعوة والبيان والمحاجة، وحاجة الدعاة والمصلحين لتطبيقها في واقعهم المعاصر.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في كون السورة ذات موضوعات مختلفة، مما يتبادر للناظر في أول نظره أنها ليست وحدة واحدة في موضوعها ومقصدها، رغم ما يعرف من خصائص السور القرآنية أنها ذات مقصد رئيس، وموضوع كلي واحد. فكان هذا البحث لبيان وحدة السورة واتحاد نظم مقاطعها وفواصلها في بيان غرضها الرئيس.

أسئلة الدراسة:

1. ما مقاصد سورة فصلت؟
2. ما الموضوع الرئيس لسورة فصلت؟
3. ما محاور سورة فصلت، وعلاقتها بموضوعها الرئيس؟

أهداف الدراسة:

1. بيان مقاصد السورة وغرضها.
2. بيان الموضوع الرئيس الذي تدور عليه سورة فصلت.
3. توضيح أهم محاور السورة وعلاقتها بالموضوع الرئيس.

(1) ينظر: سبحاني، محمد عناية الله أسد، البرهان في نظام القرآن (ص25).

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والاستقراء للمكتبات لم أجد بحثًا-فيما أعلم- في الوحدة الموضوعية في سورة فصلت، ولكني اطلعت على بحوث عامة للوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، أو في سور أخرى غير سورة فصلت.

ولكن هناك دراسات كثيرة للوحدة الموضوعية في القرآن أو في سور منه، ومن ذلك:

- نظرية الوحدة الموضوعية، محمد حسام الدين ياسين سكاف، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (44) 2019م.
- الوحدة الموضوعية في سورة الشمس، د. عبد الله سالم بن يسلم بافرج، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (53) رمضان 1422هـ.
- الوحدة الموضوعية في سورة الأحقاف، نجية غلام نبي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (106)، 2015م
- الوحدة الموضوعية في سورة العصر، اليازجي، صبحي رشيد حسن، من منشورات مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات – عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، 2013م.

منهج البحث:

سلكت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، متبعًا أسلوب الاستقراء والاستنباط، وتمثل ذلك بما بالآتي:

1. دراسة مختصرة للسورة من حيث: اسمها وعد آياتها، ووقت نزولها.
2. بيان وجه المناسبات بين محاور السورة وموضوعاتها.
3. بيان موضوعها الرئيس وموضوعاتها الجزئية وعلاقتها بالموضوع الرئيس للسورة.
4. ذكر المعاني المستفادة والمستخلصة من خلال الوحدة الموضوعية للسورة.
5. بيان معنى الآيات من خلال أقوال المفسرين وغيرهم حسب مواضعها.

6. لم أترجم للأعلام الواردة لما يتطلبه طبيعة البحث من الاختصار.
7. العزو للآيات في متن البحث، وأما الأحاديث وأقوال العلماء ففي هامش البحث.

خطة البحث:

تكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة وفيها: أهمية الموضوع، وأهداف البحث، ومشكلته، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد وفيه: بيان المقصود بالوحدة الموضوعية.

المبحث الأول: مقدمة عن سورة فصلت.

المبحث الثاني: المحور العام في سورة فصلت.

المبحث الثالث: المحاور الفرعية في سورة فصلت.

الخاتمة: وفيها: أهم النتائج، والتوصيات.

التمهيد

اهتمام العلماء بالوحدة الموضوعية:

اهتم العلماء والمفسرون بموضوع الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، حيث توسع الاتجاه الحديث في الدراسات القرآنية بتناول السور القرآنية مستقلة بناء على الوحدة الموضوعية، وأن كل سورة ذات هدف معين وغرض أساس أنزلت لأجله، ويعد هذا الاتجاه مدخلًا لفهم معانيها وكشف أسرارها وحكمها [1].

ولا يقتصر الاهتمام بالنظر إلى الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية على المعاصرين، بل سبقهم إلى ذلك عدد من المتقدمين الذين لفتوا الأنظار إلى هذا الجانب، ومن هؤلاء:

يقول البقاعي: "من عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها... فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها ويستدل عليه فيها؛ فترتب المقدمات الدالة عليه على أكمل وجه وأبدع

(1) ينظر: الرومي، فهد دراسات في علوم القرآن (ص104).

منهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج دليلًا استدل عليه. وهكذا في دليل الدليل وهلم جرًا "[1].

ويضرب المثال على ذلك فيقول: "سورة آل عمران مقصودها التوحيد، لذلك بُدئت به وختمت بما بُنِيَ عليه من الصبر وما معه مما أعظمه من التقوى، وسورة مريم مقصودها شمول الرحمة، فقُتحت بذكر الرحمة وخُتمت بأن كل من كان على نهج الخضوع لله يجعل له وُدّا ثم كُرِّر الوصف بالرحمن فيها تكريرًا يلائم مقصودها[2].

وقال ابن العربي:" ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني؛ علم عظيم"[3].

وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره، ومما قاله في ذلك:" أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[4].

وكذلك الإمام الشاطبي حيث يقول في هذا المعنى: "اعتبار جهة النظم مثلًا في السورة لا تتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حُكمٍ ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها"[5]، وهذا هو ذاته المقصود بالوحدة الموضوعية.

وأما في العصر الحديث فقد اهتم جماعة من العلماء والباحثين بهذا المنهج (الوحدة الموضوعية)، وفهم آيات القرآن الكريم وفق هذه المنهجية الكلية، وقدموا تصورًا لبيان معالمه وغاياته، والتي تعني أن لكل سورة مقصدًا وعنوانًا رئيسًا، جاءت آياتها لبيانه.

يقول الدكتور عبد الرحمن الميداني:" على متدبر كتاب الله أن يضع نصب عينه ضمن

(1) ينظر: البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (1/ 149).

(2) ينظر: السابق (1/ 150-153).

(3) ينظر: الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن (1/ 36)، والسيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن (3/ 369).

(4) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (10/ 110).

(5) ينظر: الشاطبي، الموافقات (4/ 268).

بحثه وتدبره التوصل إلى اكتشاف الموضوع الذي تدور حوله السورة القرآنية، وهذا يستدعي بحثًا كليًا شاملًا للسورة، ويتتبع ارتباط آياتها ومعاني جملها بهذا الموضوع أو بما تفرع عنه من عناصر، وما اتصل به من موضوعات جزئية، وأحكام وشواهد ...فعلى متدبر كلام الله أن يوجه عنايته ما استطاع لاكتشاف وحدة موضوع السورة القرآنية وارتباط المعاني التي اشتملت عليها جملها بهذا الموضوع الكلي.."[1].

ويقول الدكتور دراز في التأكيد على الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية: "إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حشيت حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا؛ فإذا هي -لو تدبرت- بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد... كل ذلك بغير تكلفة.. وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلًا، والمختلف مؤتلفًا"[2].

مفهوم الوحدة الموضوعية:

تعددت المصطلحات في توصيف الوحدة الموضوعية، حيث نجد من المهتمين والمختصين من يطلق عليه: الموضوع الواحد، أو الكلي، أو الأساس، أو الموضوع الرئيس، أو قضية السورة، أو الهدف الأساس، أو الغرض الواحد، أو المحور الواحد، أو شخصية السورة، أو المقصد الواحد، أو محور السورة، وهذا يندرج في باب اختلاف التنوع، فلا مشاحة في الاصطلاح إذا كان المؤدى واحد.

وقد عُرِّفت الوحدة الموضوعية بتعاريف كثيرة في ضوء هذا التعدد الوصفي للمصطلح، ومؤدى تعريفاتهم للوحدة الموضوعية للسورة القرآنية أنها: الكلام عن السورة ككل، من ناحية أغراضها العامة والخاصة، مع ربط موضوعاتها، بعضها ببعض، حتى تبدو السورة، وكأنها قطعة

(1) ينظر: الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل (ص 27، 30).

(2) ينظر: دراز، النبأ العظيم (ص188).

واحدة.

ومن تعريفات الوحدة الموضوعية في القرآن: البحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها الكتاب الحكيم في سوره المختلفة ليظهر ما فيها من معان خاصة تتعلق بالموضوع العام الذي نبحثه [1].

الوحدة الموضوعية في السورة: تعني: أن كل سورة ذات هدف معين وغرض أساس أنزلت لأجله [2].

وعرفت الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية بأنها: التفسير الذي يتوجه فيه المفسر إلى الكشف عن الموضوع الذي تعالجه السورة في ضوء معطيات آياتها المحكمة النسج والارتباط، بأسلوبها المتميز وخصائصها المعجزة، بلوغًا إلى مقاصدها الهدائية"[3].

وفي ضوء ما سبق فيمكن تعريف الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية بأنها تعني: أن يكون للسورة الواحدة من القرآن الكريم موضوع رئيس، مؤتلف من مجموعة من المحاور التي تشكل ذلك الموضوع الذي يسمى موضوع السورة.

(1) ينظر: حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن (33-44).

(2) ينظر: الرومي، دراسات في علوم القرآن (ص104).

(3) ينظر: عبد الرحيم ، عبد الجليل، (1992) التفسير الموضوعي في كفتي الميزان، (ص34)، دار النشر عمان .

المبحث الأول

مقدمة عن السورة

المطلب الأول: بيان اسم سورة فصلت

سميت هذه السورة بأسماء؛ فسميت بسورة فصلت في كثير من التفاسير [1]، واشتهرت بهذا الاسم في المغرب [2]. وسميت سورة فصلت لوقوع كلمة: ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت: 3] في أولها فعُرّفت بها تمييزًا لها من السور المفتتحة بحروف حم. كما تميزت سورة المؤمن باسم سورة غافر عن بقية السور المفتتحة بحروف حم [3].

وسميت بسورة (حم السجدة) مضافًا [4]، وبذلك ترجمت في (صحيح البخاري) [5]، وفي (جامع الترمذي) لأنها تميزت عن السور المفتتحة بحروف حم بأن فيها سجدة من سجود

(1) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان ت شاكر (21/ 425)، والبغوي، أبو محمد تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن (4/ 124)، وابن عطية، المحرر الوجيز (5/ 3)، ابن الجوزي، جمال الدين، زاد المسير في علم التفسير (4/ 45)، والزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 184)، والقرطبي، محمد بن أحمد، تفسير القرطبي (15/ 337)، والبيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (5/ 66)، وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ت سلامة (7/ 161)، والسيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (7/ 308)، والشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير (4/ 578)، والقاسمي، محمد جمال الدين، (محاسن التأويل) (8/ 323)، و ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير (24/ 227).

(2) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 227) مرجع سابق.

(3) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 227)، والزحيلي، وهبة، التفسير المنير (24/ 179).

(4) ينظر: السمعاني، منصور بن محمد، تفسير السمعاني (5/ 36)، ومحاسن التأويل (8/ 323)، والتحرير والتنوير (24/ 227)، والزحيلي، التفسير المنير (24/ 179) مرجع سابق.

(5) ينظر: صحيح البخاري (6/ 127) كتاب تفسير القرآن، باب ب: تفسير سورة حم السجدة (فصلت).

القرآن [1].

ويقال لها: سجدة المؤمن [2]. وتسمى: السجدة [3]. سميت بها لاشتمالها على آية سجدة [4].

وسميت بسورة: المصابيح [5]. لقوله تعالى فيها: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: 12] [6].

وتسمى سورة الأقوات، لقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فصلت: 10] [7].

المطلب الثاني: في عد آيات سورة فصلت:

اختُلف في عد آيات هذه السورة، فعدت آياتها عند أهل المدينة وأهل مكة ثلاثٌ وخمسون، وعند أهل الشام والبصرة اثنتان وخمسون، وعند أهل الكوفة أربع وخمسون [8].

وسبب الاختلاف اختلافهم في آيتين {حم} عدها الكوفي ولم يعدها الباقون، و{عاد

(1) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 227).

(2) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (4/ 45) مرجع سابق.

(3) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 184).

(4) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (4/ 45)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 184)، وتفسير السمعاني (5/ 36)، ومحاسن التأويل (8/ 323)، والتحرير والتنوير (24/ 227)، والتفسير المنير (24/ 179) مرجع سابق.

(5) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (4/ 45).

(6) ذكره ابن عاشور نقلا عن الكوشي في(التبصرة) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 227) مرجع سابق.

(7) ذكره ابن عاشور نقلا عن الكوشي في(التبصرة) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 227).

(8) ينظر: الداني، عثمان بن سعيد، البيان في عد آي القرآن (ص: 220)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 184)، والتحرير والتنوير (24/ 228) مرجع سابق.

وثمود} لم يعدها البصري والشامي وعدها الباقون [1].

المطلب الثالث: بيان وقت نزول سورة فصلت:

لا خلاف بين المفسرين على أن السورة مكية، يقول ابن عطية: هذه السورة مكية بإجماع من المفسرين [2]. وقال ابن الجوزي: مكية كلها بإجماعهم [3]. وقال القرطبي: سورة فصلت مكية في قول الجميع [4].

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس، وابن الزبير أنها نزلت بمكة [5].

ومما يدل على ذلك ما وروي عن قصة حوار عتبة بن ربيعة، مع رسول الله ﷺ وقراءته ﷺ مطلع سورة فصلت على عتبة [6].

المطلب الرابع: مقاصد سورة فصلت وأغراضها.

عالجت السورة قضايا العقيدة وحقائقها الأساسية -كباقي السور المكية-؛ وهي: الألوهية، والبعث والجزاء، وغيرها، وبينت طريقة الدعوة إلى الله وخُلق الداعية. وكل ما في السورة هو شرح لهذه الحقائق، واستدلال عليها.

وتمثلت أهم مقاصد السورة وأغراضها في الآتي [7]:

- التنويه بفضل القرآن، وبيان خصائصه وإعجازه، وصلاحيته، وبيان عجز الكافرين عن معارضته، قال تعالى: ﴿حمٓ تَنزِيلُ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا

(1) ينظر: البيان في عد آي القرآن (ص: 220) مرجع سابق.

(2) ينظر: المحرر الوجيز (5/ 3) مرجع سابق.

(3) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (4/ 45).

(4) ينظر: تفسير القرطبي (15/ 337) مرجع سابق.

(5) ينظر: الشوكاني، فتح القدير (4/ 578) مرجع سابق.

(6) ينظر: البيهقي، دلائل النبوة (2/ 204)، وابن عساكر، تاريخ دمشق (38/ 246)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور (7/ 309) مرجع سابق.

(7) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 228-229)، وتفسير المراغي (25/ 12)، والتفسير المنير (24/ 180-181) مرجع سابق.

عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: 1-4]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ۝﴾.

- إبطال مطاعن المخالفين في القرآن، قال تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ۝ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ۝﴾ [فصلت: 41-44].

- بيان حقيقة الإله الحق، ودلائل تفرده سبحانه بالإلهية، ودلائل إمكان البعث، ودليل على صدق القرآن وإعجازه، وصدق نبوة النبي ﷺ، وذلك من خلال ذكرها للآيات المنظورة في الكون، وأن هذه الدلائل باقية ما بقيت السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ۝﴾ [فصلت: 6]، قال تعالى: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ۝﴾ [فصلت: 9-10] .. ، وقوله: ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ۝﴾ [فصلت: 37]. وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ۝ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ۝ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ۝﴾[فصلت: 9-12]، وقوله:﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ

إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٌ٣٩﴾.

- إنذار المعرضين عن القرآن وهديه، وذلك بالتذكير بما حل بالأمم المكذبة من عذاب الدنيا كعاد وثمود، وهي إنذار لكل معاند للحق في كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: 13]. قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ٢١﴾ [فصلت: 19-21].
- اشتملت السورة على بيان الأدب في الدعوة إلى الله، ومدافعة غير المؤمنين بالتي هي أحسن، والصبر على جفوتهم. قال تعالى:﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ٣٦﴾ [فصلت: 33-36].
- التنويه بالبشارة للمؤمنين، ومؤانستهم، وتصبيرهم على ما يقع بهم من بلاء، أو أذى، وأن ذلك يهون أمام ما وعد به المؤمنون من الجزاء والبشارة بالجنة، قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ٣١﴾[فصلت: 30-31].

المطلب الخامس: مناسبات السورة مع ما قبلها:

مناسبتها لما قبلها من وجوه [1]:

1. شابه مطلع هذه السورة مطلع الحواميم [2]، وذلك بتآخي المطالع في الافتتاح بتنزيل الكتاب، ثم إن الحواميم ترتبت لاشتراكها في الافتتاح بـ [حم]، وبذكر الكتاب بعد حم [3]. قال الكرماني:" وسميت هذه السورَ السبع حم على الاشتراك في الاسم لما بينهن من التشاكل الذي اختصت به، وهو أن كل واحدة استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب، مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام"[4].

وأما مناسبتها للسورة التي قبلها، فتجلى ذلك في افتتاح كلتيهما بوصف الكتاب الكريم وهو القرآن العظيم، فقال في غافر:﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [غافر: 1-2]، وقال في هذه السورة:﴿حمٓ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [فصلت: 1-3] [5].

2. لما ذكر الله حال المشركين وجحودهم بآياته في سورة (غافر) بقوله:﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ﴾ [غافر: 69] ، وأن أمرهم لعجيب في صرفهم عن استيضاح الآيات بعد بيانها، ثم ذكر تعالى سوء حالهم في العذاب الأخروي وواهي اعتذارهم بقولهم:﴿ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗا﴾ [غافر: 74] ثم صبّر تعالى نبيه ﷺ بقوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ [غافر:

(1) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 228-229)، والتفسير المنير (24/ 180-181) مرجع سابق.

(2) الحواميم: هي السور التي ابتدأت بـــــــ (حم)، وعددها سبع، وهي: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف)، وكلها مكية. ينظر: النسفي، تفسير (مدارك التنزيل) (3/ 196)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور (7/ 268) مرجع سابق.

(3) ينظر: السيوطي، أسرار ترتيب القرآن (ص: 129)، والخلوتي، إسماعيل حقي، روح البيان (8/ 225).

(4) ينظر: الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل (2/ 1037).

(5) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (24/ 103).

77] ثم أعاد تنبيههم فقال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ٨٢﴾ [غافر: 82] إلى ختام السورة، فلما بينت هذا الغرض أعقبت بذكر الآية العظيمة التي تحديت بها العرب، وقامت بها حجة الله سبحانه على الخلق، وكان قيله لهم: احذروا ما قدم لكم، فقد جاءكم محمد ﷺ بأوضح آية وأعظم برهان، ﴿تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ٣﴾ [فصلت: 2-3] (1).

3. ومناسبة السورة مع السورة التي قبلها أنهما اشتركتا في تهديد قريش وتقريعهم، فقد توعدهم في السورة السابقة بقوله: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ٨٢﴾ [غافر: 82]، وكان ذلك متضمنًا تهديدًا وتقريعًا لقريش، وذكر جل شأنه هنا نوعًا آخر من التهديد والتقريع لهم وخصهم بالخطاب في قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ١٣﴾ [فصلت: 13]، ثم بيّن سبحانه كيفية إهلاكهم وفيه نوع بيان لما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ﴾ الآية(2).

(1) ينظر: الغرناطي، ابن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن (ص: 295-296)، والبقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (17/ 139-140).

(2) ينظر: الألوسي، تفسير روح المعاني (12/ 347).

المبحث الثاني: المحور العام في سورة فصلت

موضـــوع هذه الســـورة مثل غيرها من الســـور المكية، في الاهتمام بقضـــايا الوحي، والرسالة، وحقيقة الألوهية، وغيرها من الموضوعات المتصلة بالعقيدة.

وأما محورها العام فيتمثل في: بيان خصـــائص القرآن الكريم ومكانته، وبيان موقف الكافرين منه.

فالناظر في الســـورة يجد أنها بدأت بقوله تعالى: ﴿حمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [فصلت: 1- 4]، وتضمنت السورة بعد ذلك تبيان خصائص القرآن، فالسورة تدلّنا على مظاهر تجليات اسمي الله: (الرحمن، الرحيم) الذي يتلطف فينزل وحيًا، والذي يتلطف فيناقش ويبين ويوضـــح، والذي يأمر عباده بســـلوك الطريق المرحوم أهلها، ويأمرهم بالرحمة، كما أنّ السورة نموذج على عروبة هذا القرآن، إذ تجده مبينًا فصيحًا واضحًا، وهي نموذج على كون هذا القرآن بشيرًا ونذيرًا.

و" إن كتابًا تظهر في كل سورة منه مجموع خصائصه وهي من الكثرة بحيث لا يحاط بها. إن كتابًا هذا شأنه لا يضل عن كونه من عند الله إلا أعمى"[1].

يقول ابن عاشور: "الغرض الأصلي من هذه السورة وهو بيان حقيقة القرآن وصدقه وصدق من جاء به. ليعملوا النظر في دلائل صدق القرآن مثل؛ إعجازه واتساقه وتأييد بعضه بعضًا، وكونه مؤيدًا للكتب قبله، وكون تلك الكتب مؤيدة له"[2].

وفي بيان الوحدة الموضوعية للسورة يقول الرازي عند تفسيره للسورة: "وقد ظهر من كلامنا في تفسير هذه السورة أن المقصود من هذه السورة، هو ذكر الأجوبة عن قولهم: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: 5]، فتارة ينبه على فساد هذه الطريقة، وتارة يذكر الوعد والوعيد

(1) ينظر: حوى، الأساس في التفسير (9/ 5025).

(2) ينظر: التحرير والتنوير (25/ 16) مرجع سابق.

لمن لم يؤمن بهذا القرآن"[1].

فالسورة عرضٌ لموقف الكافرين من القرآن، وتفنيد شبههم، وإبطال مطاعنهم فيه، وبيان خصائص القرآن وإعجازه، وتذكيرهم بأن القرآن نزل بلغتهم فلا عذر لهم أصلًا في عدم انتفاعهم بهديه.

ويتجلى بيان مقصد السورة العام من خلال مفتتح السورة وفي أثنائها، وخاتمتها؛ تأكيدًا على هذا الغرض العام، ففي افتتاح السورة قوله تعالى: ﴿حمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [فصلت: 1- 4] فابتدئت السورة بتحديهم بمعجزة القرآن ووصف للقرآن بصفة الإعجاز.

وفي أثنائها يجيء الكلام عن استقبال المشركين لهذا القرآن، وبيان موقفهم منه، وأبطل معاذيرهم ومطاعنهم بقوله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ [فصلت: 5]، فإن قولهم ذلك قصدوا به أن حجة القرآن غير مقنعة لهم إغاظة منهم للنبي ﷺ، ثم تمالئهم على الإعراض بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: 26]، وهو عجز مكشوف بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ [فصلت: 40]، وبقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾ [فصلت: 41] الآيات. فأعقبها بأوصاف كمال القرآن التي لا يجدون مطعنا فيها بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾ [فصلت: 41].

وتضمن هذا الرد بيان خصائص القرآن، وأنه تنزيل من حكيم حميد، وأنه عزيز في مكانته، عزيز في تشريعه وأحكامه، وأنه مبروء من كل عيب، محفوظ عن كل المطاعن، وأنه سبيل الهداية، وحماية عن طريق الغواية.

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (27/ 569) مرجع سابق.

ثم تأتي خاتمة السورة في بيان موقف المعرضين عن القرآن، والرد على أقوالهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ، لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ، مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ، وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ،﴾ [فصلت: 41-44].

ويظهر اتصال نظم الكلام من أول السورة إلى قوله: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ﴾[فصلت: 44]، "وتناسب تنقلاته بالتفريع والبيان والاعتراض والاستطراد يقتضي أن قوله: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ﴾ إلى آخره، تَنَقل في درج إثبات أن قصدهم العناد فيما يتعللون به ليواجهوا إعراضهم عن القرآن والانتفاع بهديه بما يختلقونه عليه من الطعن فيه والتكذيب به" وأن تكلفهم الأعذار الباطلة ليتستروا بذلك من الظهور في مظهر المنهزم المحجوج، فأخذ ينقض دعاويهم عروة عروة، .. وإذ قد كانت هذه المجادلات في أول السورة إلى هنا إبطالًا لتعللاتهم، وكان عماده على أن القرآن عربي مفصل الدلالة المعروفة في لغتهم حسبما ابتدئ الكلام بقوله: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [فصلت: 3] وانتهي هنا بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ، لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ،﴾ [فصلت: 41، 42]، فقد نهضت الحجة عليهم بدلالته على صدق الرسول ﷺ، وكون القرآن نزل بلغة العرب وليس بلغة غيرها"[1].

وإذا أُدرِكَت هذه المعاني فقد أُدرك أحد أسباب الإعجاز في هذا القرآن، وأُدرِكَ السرّ في كون كل سورة من سوره معجزة يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها.

فالسورة في سياقها العام تدافع وتُحاجّ عن حقيقة (القرآن)، فهي تفتتح بالكلام عنه وتختم به.

(1) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 312) مرجع سابق.

المبحث الثالث: المحاور الفرعية في سورة فصلت

ذكرتُ أن محور السورة العام هو بيان حقيقة القرآن وموقف الكافرين منه، وإنذارهم بالعقاب من جراء ذلك التكذيب، وحول هذا المحور يدور السياق في عدة صور متنوعة ترجع كلها إلى ذلك المحور الأصيل.

وسنبين في السطور التالية (بشيء من التفصيل) القضايا والموضوعات الجزئية التي تناولتها السورة في إطار سياقها العام ووحدتها الموضوعية.

وقد ذكر المفسرون ما اشتملت عليه السورة من محاور وفواصل، وما فيها من العلوم والمقاصد والحكم. وبعد التأمل فيما ذكروه، يمكن إجمال موضوعات السورة في عشرة محاور، على النحو الآتي:

المحور الأول: بيان خصاص القرآن الكريم (الآيات من 1-8):

قال تعالى:﴿حمٓ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ١ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ٨﴾ [فصلت: 1-8].

صلة هذا المحور بمحور السورة العام:

في هذه الآيات بيان خصاص القرآن الكريم، أنه منزل من الرحمن الرحيم، ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ١ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ٤﴾، في إضافة التنزيل إلى (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) من بين أسمائه تعالى للإيذان بأنه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية، وفي الجمع بين صفتي الرحمن الرحيم يدل على كون ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لأن الفعل المقرون بالصفة لابد وأن يكون مناسبًا لتلك الصفة، .. فالتنزيل المضاف إلى هاتين الصفتين لابد

وأن يكون دالًّا على أعظم وجوه النعمة [1]، فإنزال هذا الكتاب حصـــل به العلم والهدى، والنور، والشفاء، والرحمة، والخير الكثير، فهو من أجل نعمه على العباد، وهو الطريق للسعادة في الدارين، وذلك من مظاهر رحمة الله بعباده.

كما بينت الآيات أنّ العلم صـــفة لابدّ منها لمعرفة هذه الخصـــائص [2]. وأن آيات القرآن واضحة الأغراض لا تلتبس إلا على مكابر.

وأن من خصائص القرآن أنه بشير ونذير؛ بشير لقوم وهم الذين اتبعوه ونذير لآخرين، وهم المعرضون عنه، وأن دلالة معجزة القرآن ما تضمنه من دلالة أمية الرسول ﷺ. نحو قوله تعالى:﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48].

وأن ســـبب عدم انتفاعهم بالقرآن تعطيل حواســـهم؛ ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ "وهذا تفصـيل للإعراض عما وصـف به القرآن من الصـفات التي شأنها أن تقربهم إلى تلقيه لا أن يبعدوا ويعرضوا وقد جاء بالتفصيل بأقوالهم التي حرمتهم من الانتفاع بالقرآن واحدًا واحدًا كما ستعلمه"[3].

فإذا كانت هذه خصائص القرآن وأن هذه دعوته، وهذا مضمونها لا شيء فيه يرفضه العقل أو العلم أو الإنصاف، فلماذا يرفضها الكافرون! [4]. وأن كونه قرآنًا عربيًا أشد إلزامًا لهم بفهمه وإبطال الاحتجاج بعدم سماعه.

وفي قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (27/ 537-538)، والألوسي، روح المعاني (12/ 348) مرجع سابق.
(2) ينظر: حوى، سعيد، الأساس في التفسير (9/ 5002) مرجع سابق.
(3) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 333) مرجع سابق.
(4) ينظر: حوى، سعيد، الأساس في التفسير (9/ 5002).

فهذا المقطع ردّ على موقفهم (من القرآن).. فالسورة عرض لموقف وردّ عليه [1].

فاتصال هذا المحور مع محور السورة العام يتمثل في كونه جاء بيانًا لبعض خصائص القرآن الكريم وأوجه إعجازه، وبيان حقيقته ولزوم حجته.

المحور الثاني:

دلائل وحدانية الله وقدرته في خلق الكون: (من الآية 9-12):

قال تعالى:﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝﴾ [فصلت: 9-12].

علاقة المحور بمحور السورة العام:

في هذه المجموعة من الآيات يبيّن الله عز وجل أنّ إعراض الكافرين عن (القرآن) الذي جاء به الرسول الله ﷺ -وهو الذي ذكرته مقدمة السورة -يعني الكفر بالله، وهو الذي خلق الأرض وما فيها لصالح الإنسان، فكيف يكفر الإنسان بربه! وهو الذي فعل ذلك كله، وذلك لا يخفى على ذي بصيرة، فهذا فعل منكر وموقف مُستنكر. ومن ثم جاءت هذه المعاني في الآيات بصيغة الاستفهام الاستنكاري.

فبعد أن أمر الله محمدًا ﷺ في الآية الأولى أن يقول: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [فصلت: 6] أمره عقب ذلك بمعاودة إرشادهم إلى الحق على طريقة الاستفهام عن كفرهم بالله[2]، فقال: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾، وأردفه بما يدل على أنه لا يجوز إثبات الشَّرِكَةِ بينه تعالى وبين هذه

(1) ينظر: السابق (9/ 5002).

(2) ينظر: السابق (24/ 241).

الأصـــنام في الإلهية والمعبودية ﴿وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وذلك بأن بيَّن كمال قدرته وحكمته في خلق السـموات والأرض في مدة قليلة، فمن هذا صـفته كيف يجوز جعل الأصنام الخسيسة شركاء له في الإلهية والمعبودية؟ وهذا هو تقرير النظم واتجاهه [1].

وفي قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ بيان لإحكام ذلك الخلق وحسن تدبيره.

وقوله:﴿ثُمَّ ٱسۡـتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّـمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ إيماءة عجيبة إلى انقياد هذا الكون للناموس، وإلى اتصـال حقيقة هذا الكون بخالقه اتصال الطاعة والاستسلام لكلمته ومشيئته. فليس هنالك إذن إلا هذا الإنسان فهو إن كان لا يخضـع للناموس إلا كرهًا في أغلب الأحيان، فهو خاضـع حتمًا لهذا الناموس لا يملك أن يخرج عنه [2].

وفي قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰـبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ والمقصـــود من ذلك إظهار كمال القدرة والتقدير [3]. وبيان أن الخالق بقدرته حفظها من الاضـطراب في سـيرها ومن اصـطدام بعضها ببعض، وجعلها تسير على نهج واحد ونظام محكم حتى يأتي اليوم الموعود.

فآيات هذا المحور اســـتدلال على قدرة صـــانع هذا الكون وحكمته، الذي هو –سبحانه– منزل هذا الكتاب الذي أنكره المعرضون، وشكك فيه المبطلون.

فإن ترك المشـركين الانقياد لهذا الرب العظيم الواحد القهار، الذي انقادت المخلوقات لأمره ونفذ فيها قدره، مما يدعوا إلى العجب والإنكار.

المحور الثالث:

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (27/ 543) مرجع سابق.
(2) ينظر: حوى، الأساس في التفسير (9/ 5010) مرجع سابق.
(3) ينظر: مفاتيح الغيب (27/ 547) مرجع سابق.

الدعوة إلى الاعتبار بقصص الأمم السابقة (من الآية 13-18):

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ١٣ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ١٤ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ١٥ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ١٦ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ١٧ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ١٨﴾ [فصلت: 13-18].

علاقة المحور بمحور السورة العام:

لما بين الله سبحانه وتعالى حال الكافرين وإعراضهم عما وصف لهم من أوصاف القرآن الحميدة، وخصائصه الفريدة، وبعد أن قرعتهم الحجة التي لا تترك للشك منفذًا إلى النفوس أن القرآن منزل من عند الله، توعدهم بالعقوبات الدنيوية والأخروية، فقال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ الآيات.

فَصِلت هذا المحور بمحور السورة، يتمثل في أمر الله رسوله ﷺ أن يذكّر المعرضين عن القرآن بما ينتظرهم من عذاب في الدنيا، وهو بعض ما ينتظر هؤلاء المكذبين الرافضين، إذ ينتظرهم عذاب في الآخرة، وهو موضوع المجموعة الرابعة.

قال الرازي:" اعلم أن الكلام إنما ابتدئ من قوله: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [فصلت: 6] واحتج عليه بقوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: 9]، وحاصله أن الإله الموصوف بهذه القدرة القاهرة كيف يجوز الكفر به، وكيف يجوز جعل هذه الأجسام الخسيسة شركاء له في الإلهية؟ ولما تم تلك الحجة قال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ١٣﴾، وبيان ذلك لأن وظيفة الحجة قد تمت على أكمل الوجوه، فإن بقوا مصرين على الجهل لم يبق حينئذ علاج في حقهم إلا

إنزال العذاب عليهم فلهذا السبب قال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾"[1].

وقال ابن عاشور: بعد أن قرعتهم الحجة التي لا تترك للشك مسربًا إلى النفوس..وكان ثبوت الوحدانية من شأنه أن يزيل الريبة في أن القرآن منزل من عند الله لأنهم ما كفروا به إلا لأجل إعلانه بنفي الشريك عن الله تعالى، فلما استبان ذلك كان الشأن أن يفيئوا إلى تصديق الرسول والإيمان بالقرآن، وأن يقلعوا عن إعراضهم المحكي عنهم بقوله في أول السورة ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: 4]، فلذلك جعل استمرارهم على الإعراض بعد تلك الحجج أمرًا مفروضًا كما يفرض المحال[2].

فقوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ أي: فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعد ما بين لهم من أوصاف القرآن الحميدة، ومن صفات الإله العظيم، قال: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ أي: عذابًا يستأصلكم ويجتاحكم، ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ١٣﴾ القبيلتين المعروفتين، حيث اجتاحهم العذاب، وحل عليهم، وبيل العقاب، وذلك بظلمهم وكفرهم [3]. ومن شاكلهما ممن فعل كفعلهما [4].

وصيغة الماضي في قوله: ﴿أَنْذَرْتُكُمْ﴾ للدلالة على تحقق الإنذار المنبيء عن تحقق المنذر به [5].

وفي قوله: ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ تمثيل لحرص رسول كل منهم على هداهم بحيث لا يترك وسيلة يتوسل بها إلى إبلاغهم الدين إلا توسل بها [6].

وفي قوله: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ حكاية عن جواب عاد وثمود لرسوليهم، فقد

(1) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص764) مرجع سابق.
(2) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 252) مرجع سابق.
(3) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (27/ 547) مرجع سابق.
(4) ينظر: تفسير ابن كثير (7/ 168) مرجع سابق.
(5) ينظر: الألوسي، إرشاد العقل السليم (8/ 7) مرجع سابق.
(6) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 253) مرجع سابق.

كان جوابًا متماثلًا لأنه "ناشـــئ عن تفكير متماثل، ولذلك يتماثل في هذا مع حال أهل الجهالة كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُـــولٍ إِلَّا قَالُواْ سَـــاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ٥٢ أَتَوَاصَـــوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ٥٣﴾ [الذاريات: 52- 53]"[1]. وهذه عادة المعاندين وفاقدي الحجة في كل زمان.

وقوله: ﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾. أي: بغوا وعتوا وعصوا، ومنعهم من قبول الهدى استكبارهم[2]. فكان اغترارهم بقوتهم هو باعثهم على الكفر.

وقوله: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَـــدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةًۖ﴾ أي: أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة؟ فإنه العظيم الذي خلق الأشـــياء وركب فيها قواها الحاملة لها، وإن بطشه شديد، فبارزوا الجبار بالعداوة، وجحدوا بآياته وعصوا رسوله، فلهذا قال: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا صَرۡصَرًا﴾[3].

والحال والمصـــير هو ذاته الذي حل بقوم ثمود الذين ضـــربهم الله مثلًا للمعاندين من قريش المكذبين بما جاء به الرســـول ﷺ من الآيات. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ١٧﴾.

المحور الرابع:

ذكر بعض مشاهد عذاب الكافرين في الآخرة (من الآية 19-25):

قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ

(1) ينظر: السابق (24/ 254-255).

(2) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 256).

(3) ينظر: ابن جرير، جامع البيان (21/ 444)، وتفسير ابن كثير (7/ 169) مرجع سابق.

أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ٢٢ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ٢٣ فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ٢٤ ۞وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ٢٥﴾ [فصلت: 19-25].

علاقة المحور بمحور السورة العام:

لما فرغ الله سبحانه وتعالى من موعظة المشركين بحال الأمم المكذبة من قبلهم، وإنذارهم بعذاب يحل بهم في الدنيا كما حلَّ بأولئك -ليكون لهم ذلك عبرة، -لإن في استحضار المُثُلِ والنظائر أثرًا في النفس تعتبر به، أكثر مما تعتبر بتوصيف المعاني العقلية- انتقل إلى إنذارهم بما سيحل بهم في الآخرة، فجملة: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، معطوفة على جملة: ﴿فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ﴾ [فصلت: 13]، ليحصل منه تمام الاعتبار في الزجر والتحذير.

ولما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة على كفر أولئك الكفار بالقرآن وإعراضهم عنه أردفه بذكر السبب الذي لأجله وقعوا في ذلك الكفر فقال: ﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ٢٥﴾ (1).

وفي تخصيص السمع والأبصار والجلود بالشهادة على هؤلاء دون بقية الجوارح في قوله: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ لأن للسمع اختصاصًا بتلقي دعوة النبي ﷺ وتلقي آيات القرآن، ولأن للأبصار اختصاصًا بمشاهدة دلائل المصنوعات الدالة على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير فذلك دليل وحدانيته في إلهيته، وشهادة الجلود لأن الجلد يحوي جميع الجسد، ولذلك اقتصروا في توجيه الملامة على جلودهم؛ لأنها حاوية لجميع الحواس

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (27/ 557) مرجع سابق.

والجوارح[1].

وهذا التسليط والتقييض من الله للمكذبين الشياطين، بسبب إعراضهم عن ذكر الله وآياته، وجحودهم الحق، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: 36-37] [2].

فقد رأينا أن سياق السورة من أولها إلى هذا المحور تضمن عرض خصائص القرآن، وموقف الكافرين من القرآن، وردّ مزاعم المعرضين عنه، بما يترتب من آثار بديهية البطلان على هذه المزاعم، ثم بإنذارهم بعذاب الدنيا، وإنذارهم عذاب الآخرة.

المحور الخامس:

مظاهر محاربة الكفار للقرآن الكريم وعقوبة ذلك (من الآية 26-29):

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ٢٦ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ٢٧ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ٢٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ٢٩﴾ [فصلت: 26-29].

علاقة المحور بمحور السورة العام:

تعرض علينا آيات هذا المحور موقف الكافرين من القرآن وهو الموقف نفسه الذي ذكرته السورة في افتتاحها، موقف العناد المستمر، والإصرار على حرب القرآن، وعدم استفادتهم مما ذكر من الأدلة والبراهين والحجج على صدق الكتاب العزيز، كما تبين استحقاقهم العقوبات بذلك، وندم بعضهم حيث لا ينفع الندم.

(1) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 267) مرجع سابق.

(2) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص748) مرجع سابق.

يقول الرازي: "واعلم أن الكلام في أول السورة ابتدئ من قوله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: 5] فأجاب الله تعالى عن تلك الشبهة بوجوه من الأجوبة، واتصل الكلام بعضه بالبعض إلى هذا الموضع. ثم إنه حكى عنهم شبهة أخرى فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾"[1].

فقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ يدل على أنهم تواصوا فيما بينهم ألا يطيعوا للقرآن، ولا ينقادوا لأوامره، لمَّا أعجزهم القرآن وأبطل معتقداتهم وحججهم، قال مجاهد: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ يعني: بالمكاء [2] والتصفيق والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن قريش تفعله. وقال الضحاك، وعن ابن عباس: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ عيبوه [3]. ظنًا من أنفسهم أنهم سيَغلِبون بذلك، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ وهذا جهلهم، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن. وقد أمر الله عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأعراف: 204] [4].

فالقوم لما علموا أن القرآن كلام كامل في المعنى، وفي اللفظ وأن كل من سمعه وقف على جزالة ألفاظه، وأحاط عقله بمعانيه، وقضى عقله بأنه كلام حق واجب القبول، فدبروا تدبيرًا في منع الناس عن استماعه، فقال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن إذا قرئ، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والأشعار الفاسدة والكلمات الباطلة، حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه[5]، ومفهوم كلامهم، أنهم إن لم يلغوا فيه، بل استمعوا إليه، وألقوا أذهانهم، أنهم لا يَغلِبون، فإن الحق، غالب غير مغلوب، يَعرف هذا، أصحاب الحق

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (27/ 558) مرجع سابق.

(2) المُكاء: الصفير وأصله، طائر صغير له صفير. ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة (2/ 1083-1084).

(3) ينظر: تفسير ابن كثير (7/ 174) مرجع سابق.

(4) ينظر: السابق (7/ 174).

(5) ينظر: مفاتيح الغيب (27/ 558) مرجع سابق.

وأعداؤه [1].

ولما كان هذا ظلمًا منهم وعنادًا، لم يبق فيهم مطمع للهداية، فلم يبق إلا عذابهم ونكالهم [2]، ولهذا قال تعالى: منتصرًا للقرآن، ومنتقمًا ممن عاداه من أهل الكفران: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعه، ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: بشر أعمالهم وسيئ أفعالهم [3]، ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ﴾ أي: الذين حاربوه، وحاربوا أولياءه، بالكفر والتكذيب، والمجادلة والمجالدة. ﴿ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ أي: الخلود الدائم، الذي لا يفتر عنهم العذاب ساعة، ولا هم ينصرون، وذلك ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ فإنها آيات واضحة، وأدلة قاطعة مفيدة لليقين، فأعظم الظلم وأكبر العناد، جحدها، والكفر بها [4].

فهؤلاء المعرضون عن القرآن الذين حدّثنا الله عنهم في أوّل السورة مصرّون على حرب القرآن، فكان جزاؤهم أن سلّط الله عز وجل عليهم شياطين الجن والإنس يضلونهم، وذلك عقوبة لهم على إعراضهم.

المحور السادس:

فضل الاستقامة وأسبابها (من الآية 19-29):

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ٣١ نُزُلًا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ٣٢ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ

(1) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: 748).

(2) ينظر: السابق (ص: 748).

(3) ينظر: تفسير ابن كثير (7/ 175).

(4) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: 748) مرجع سابق.

إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ٣٦﴾[فصلت: 30-36].

علاقة المحور بمحور السورة العام:

لما ابتدئ الكلام من أول السورة أن الله حكى عن المشركين أنهم قالوا: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ [فصلت: 5]، فأظهروا من أنفسهم الإصرار الشديد على أديانهم القديمة وعدم التأثر بدلائل محمد ﷺ، ثم إنه تعالى أطنب في الجواب عنه وذكر الوجوه الكثيرة وأردفها بالوعد والوعيد، ثم حكى عنهم شبهة أخرى وهي قولهم: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ [فصلت: 26]، وأجاب عنها أيضًا بالوجوه الكثيرة، ثم إنه تعالى بعد الإفاضة في الجواب عن تلك الشبهات رغّب محمدًا ﷺ في أن لا يترك الدعوة إلى الله فابتدأ أولًا بأن قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ فلهم الثواب العظيم، ثم ترقى من تلك الدرجة إلى درجة أخرى وهي أن الدعوة إلى الله من أعظم الدرجات، ثم إنّ ذكر الثناء عليهم بحسن قولهم عقب ذكر مذمة المشركين ووعيدهم على سوء قولهم: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [فصلت: 26]، مشعر لا محالة بأن بين الفريقين بونًا شاسعًا.

وبعد استيفاء الكلام على ما أصاب الأمم الماضية المشركين المكذبين من عذاب الدنيا وما أعد لهم من عذاب الآخرة مما فيه عبرة للمشركين الذين كذبوا محمدًا ﷺ، بطريق التعريض، ثم أنذروا بالتصريح بما سيحل بهم في الآخرة، ووصف بعض أهواله، تشوف السامع إلى معرفة حظ المؤمنين ووصف حالهم فجاء قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ إلخ، فصار الكلام من أول السورة إلى هذا الموضع واقعًا على أحسن وجوه الترتيب.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ٣٠﴾ جاءت بيانًا للمترقب وبشرى للمتطلب، فالجملة استئناف بياني ناشئ عما تقدم من قوله: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [فصلت: 19] إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [فصلت: 29]، فلما أطنب الله في الوعيد

أردفه بهذا الوعد الشريف، وهذا ترتيب لطيف مدار كل القرآن عليه [1].

وقوله: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ أخبر تعالى عن الملائكة أنهم قالوا للمؤمنين نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهذا في مقابلة ما ذكره في وعيد الكفار حيث قال: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ [فصلت: 25] [2]، فكما قيض للكافر قرناء في الدنيا قيض للمؤمنين ملائكة يكونون قرناءهم في الدنيا، وكما أنطق أتباعهم باللائمة عليهم أنطق الملائكة بالثناء على المؤمنين [3]. والمعنى: أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم، أي: قرناءكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم [4].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولًا. أي: كلامًا وطريقة، وحالة، ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، ومن الدعوة إلى الله، تحبيبه إلى عباده، الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق [5].

كما أن في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ تكملة للثناء على ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: 30]، وتوجيه لاستحقاقهم تلك المعاملة الشريفة، وقمع للمشركين إذ تقرع أسماعهم، أي كيف لا يكونون بتلك المثابة وقد قالوا أحسن القول وعملوا أحسن العمل. وذكر هذا الثناء عليهم بحسن قولهم عقب ذكر مذمة المشركين

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (27/ 560) مرجع سابق.
(2) ينظر: السابق (27/ 561).
(3) ينظر التحرير والتنوير (24/ 286) مرجع سابق.
(4) ينظر: تفسير ابن كثير (7/ 177) مرجع سابق.
(5) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: 749) مرجع سابق.

ووعيدهم على سوء قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [فصلت: 26] [1]، وهذا مشعر بأن بين الفريقين بونًا بعيدًا، واختلافًا كبيرًا في الواقع والمآل.

المحور السابع:

من دلائل قدرة الله في الخلق والبعث (من الآية 37-40):

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ٣٧ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ۩٣٨ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ٣٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ٤٠﴾ [فصلت: 37-40].

علاقة المحور بمحور السورة العام:

تتسق آيات هذا المحور مع محور السورة العام، فهي تتحدث عن كفر الكافرين بآيات الله الكونية، وفي ذلك اتساق مع محور السورة العام الذي يبين موقف الكافرين من آيات الله المنزلة في كتابه، إذ هو الموقف نفسه الإعراض، والصد، والتكذيب، والاستكبار.

فقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ﴾ أي: ومن حجج الله تعالى على خلقه ودلالته على وحدانيته، وعظيم سلطانه، اختلاف الليل والنهار، ومعاقبة كل واحد منهما صاحبه [2].

وهذه الآيات عطف على قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: 9] الآية، فإن المقصود من ذكر خلق العوالم أنها دلائل على انفراد الله بالإلهية، فلذلك أخبر هنا عن المذكورات في هذه الجملة بأنها من آيات الله انتقالًا في أفانين

(1) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 287).

(2) ينظر: جامع البيان (21/ 473) مرجع سابق.

الاستدلال، فإنه انتقال من الاستدلال بذوات من مخلوقاته إلى الاستدلال بأحوال من أحوال تلك المخلوقات [1].

ولما بيّن في الآية المتقدمة أن أحسن الأعمال والأقوال هو الدعوة إلى الله تعالى أردفه بذكر الدلائل الدالة على وجود الله وقدرته وحكمته، تنبيهًا على أن الدعوة إلى الله تعالى عبارة عن تقرير الدلائل الدالة على ذات الله وصفاته، فهذه تنبيهات شريفة مستفادة من تناسق هذه الآيات [2].

وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ٣٩﴾ ومن حجج الله أيضًا وأدلته على قدرته على البعث للخلق بعد فنائهم إحياء الأرض الميتة، وتلك دلائل حسية مشاهدة، فكيف ينكرها هؤلاء المعاندون!

وهذه الحجة الواضحة التي تضمنها هذا القرآن دليل على صحته وبطلان مزاعمهم في إنكار آياته.

وقوله:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ٤٠﴾ لما بين أن الدعوة إلى دين الله تعالى أعظم المناصب وأشرف المراتب، ثم بين أن الدعوة إلى دين الله تعالى، إنما تحصل بذكر دلائل التوحيد والعدل وصحة البعث والقيامة، عاد إلى تهديد من ينازع في تلك الآيات، ويحاول إلقاء الشبهات فيها، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾[3].

والإلحاد حقيقته: الميل عن الاستقامة [4]، والمعنى: إن الذين يميلون عن الحق في

(1) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 298) مرجع سابق.

(2) ينظر: مفاتيح الغيب (27/ 566) مرجع سابق.

(3) ينظر: السابق (27/ 568).

(4) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 304) مرجع سابق.

حججنا وأدلتنا، ويعدلون عنها تكذيبًا بها وجحودًا لها [1].

وقوله: ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ الآيات تشمل الدلائل الكونية المتقدمة في قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: 9] وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ [فصلت: 37]. وتشمل الآيات القولية المتقدمة في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فصلت: 26]. فالإلحاد في الآيات مستعار للعدول والانصراف عن دلالة الآيات الكونية على ما دلت عليه. والإلحاد في الآيات القولية مستعار للعدول عن سماعها وللطعن في صحتها وصرف الناس عن سماعها [2].

ففي الإشارة إلى الإلحاد (التكذيب والجحود) في الآيات الكونية والآيات القولية اتساق هذا المحور مع محور السورة العام المتضمن موقف المعاندين من القرآن الكريم.

المحور الثامن:

بيان خصائص الكتاب العزيز (من الآية 41-46):

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝﴾ [فصلت: 41-46].

(1) ينظر: جامع البيان (21/ 476) مرجع سابق.

(2) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 304) مرجع سابق.

علاقة المحور بمحور السورة العام:

في هذا المحور جاءت الآيات لتؤكد ما جاءت السورة من أجله؛ وهو بيان خصائص الكتاب العزيز، وفي ذكر هذه الخصائص في هذا المحور معالجة للريب في القرآن، وتلك هي صلته بمحور السورة وارتباطاته.

يقول ابن عاشور: اتصال نظم الكلام من أول السورة إلى هنا وتناسب تنقلاته بالتفريع والبيان والاعتراض والاستطراد، ..وإثبات أن قصدهم العناد فيما يتعللون به ليواجهوا إعراضهم عن القرآن والانتفاع بهديه بما يختلقونه عليه من الطعن فيه والتكذيب به، وتكلف الأعذار الباطلة ليتستروا بذلك من الظهور في مظهر المنهزم المحجوج، فأخذ ينقض دعاويهم عروة عروة، إذ ابتدئت السورة بتحديهم بمعجزة القرآن بأوصاف كمال القرآن التي لا يجدون مطعنًا فيها بقوله: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: 3] وانتهي هنا بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت: 41- 42] فقد نهضت الحجة عليهم بدلالته على صدق الرسول ﷺ"[1].

ومناسبة الآيات في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ ..الآيات، أنه لما هدد الملحدين في آيات الله، وبيّن شرف آيات الله، وعلو درجة كتاب الله رجع إلى أمر رسول الله ﷺ بأن يصبر على أذى قومه وأن لا يضيق قلبه بسبب ما حكاه عنهم في أول السورة من أنهم قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: 5] فقال: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾، فسلى نبيه ﷺ على آلامه من تكذيب قومه، وأمره بأن يصبر على أذاهم، وألا يضيق قلبه بإعراضهم عن رسالته، فتلك عادة الأمم مع

(1) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 311-312) مرجع سابق.

الأنبياء والرسل[1].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾ قال ابن جرير:" يقول تعالى ذكره: إن الذين جحدوا هذا القرآن وكذبوا به لما جاءهم، وعنى بالذكر القرآن، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه، وحفظه من كل من أراد له تبديلًا أو تحريفًا، أو تغييرًا"[2]، وهو منيع الجناب، لا يرام أن يأتي أحد بمثله [3].

وقوله: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ ومعناه: لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه [4]. والمقصود: لا يأتيه الباطل لا يوجد فيه ولا يداخله [5]. لأنه منزل من رب العالمين؛ ولهذا قال: ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ أي: حكيم في أقواله وأفعاله، حميد بمعنى محمود، أي: في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته [6].

وقد أجري على القرآن ستة أوصاف [7]:

الوصف الأول: أنه ذِكْرٌ، أي يذكر الناس كلهم بما يغفلون عنه مما في الغفلة عنه فوات فوزهم.

الوصف الثاني أنه ذكر للعرب وسمعة حسنة لهم بين الأمم يخلد لهم مفخرة عظيمة، وهو كونه

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (27/ 568)، والتحرير والتنوير (24/ 305، 313)، والتفسير المنير (24/ 240) مرجع سابق.

(2) ينظر: جامع البيان (21/ 479) مرجع سابق.

(3) ينظر: تفسير ابن كثير (7/ 183) مرجع سابق.

(4) ينظر: جامع البيان (21/ 480) مرجع سابق.

(5) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 309) مرجع سابق.

(6) ينظر: تفسير ابن كثير (7/ 183) مرجع سابق.

(7) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 308-309) مرجع سابق.

بلغتهم ونزل بينهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: 44].

الوصف الثالث: أنه كتاب عزيز، والعزيز النفيس، وأصله من العزة وهي المنعة، فإنه بين الإتقان وعلو المعاني ووضوح الحجة ومثل ذلك يكون عزيزًا، والعزيز أيضًا: الذي يَغلِب ولا يُغلَب، وكذلك حجج القرآن.

الوصف الرابع: أنه لا يتطرقه الباطل ولا يخالطه.

الوصف الخامس: أنه مشتمل على الحكمة وهي المعرفة الحقيقية لأنه تنزيل من حكيم، ولا يصدر عن الحكيم إلا الحكمة، فإن كلام الحكيم يأتي محكمًا متقنًا رصينًا لا يشوبه الباطل.

الوصف السادس: أنه تنزيل من حميد، والحميد هو المحمود حمدًا كثيرًا، أي مستحق الحمد الكثير، فالكلام المنزل منه يستحق الحمد، وإنما يحمد الكلام إذ يكون دليلًا للخيرات وسائقًا إليها لا مطعن في لفظه ولا في معناه، فيحمده سامعه كثيرًا لأنه يجده مجلبة للخير الكثير، ويحمد قائله لا محالة خلافًا للمشركين.

وفي إجراء هذه الأوصاف إيماء إلى حماقة الذين كفروا بهذا القرآن وسفاهة آرائهم إذ فرطوا فيه ففرطوا في أسباب فوزهم في الدنيا وفي الآخرة.

ثم ذكر بعض خصائص القرآن وأنه هدى وشفاء للمؤمنين به فقال: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾.

وقوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾ اعتراض بتسلية للنبيء ﷺ على تكذيب المشركين وكفرهم بالقرآن بأنه ليس بأوحد في ذلك فقد أوتي موسى التوراة فاختلف الذين دعاهم في ذلك، فمنهم من آمن به ومنهم من كفر، وقوله: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾، هذا متعلق بالذين كذبوا بالقرآن من العرب [1].

(1) ينظر: التحرير والتنوير (24/ 317) مرجع سابق.

المحور التاسع:

بيان طبيعة الإنسان الكافر (من الآية 47-51):

قال تعالى: ﴿ ۞إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَامِنَّا مِن شَهِيدٖ٤٧ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ٤٨ لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ٤٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ٥٠ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ٥١﴾[فصلت: 46-51].

علاقة المحور بمحور السورة العام:

وهذا المحور شديد التعلق بمحور السورة العام، وذلك لأن أول السورة يدل على أن شدة نفور المعرضين عن استماع القرآن إنما حصلت من أجل أن محمدًا ﷺ كان يدعوهم إلى التوحيد وإلى البراءة عن الأصنام والأوثان؛ بدليل أنه قال في أول السورة: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ٦﴾ [فصلت: 6]، "فذكر في خاتمة السورة وعيد القائلين بالشركاء والأنداد فقال: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَامِنَّا مِن شَهِيدٖ٤٧﴾"[1].

وفي قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ٤٩﴾ لطائف من البلاغة:

الأولى: التعبير عن دوام طلب النعمة بعدم السآمة.

الثانية: التعبير عن محبة الخير بدعاء الخير.

الثالثة: التعبير عن إضافة الضر بالمس الذي هو أضعف إحساس الإصابة.

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (27/ 571) مرجع سابق.

الرابعة: اقتران شرط مس الشر بـــ إن التي من شأنها أن تدخل على النادر وقوعه فإن إصابة الشر الإنسان نادرة بالنسبة لما هو مغمور به من النعم.

الخامسة: صيغة المبالغة في فيؤس.

السادسة: إتباع يؤس بـــ قنوط الذي هو تجاوز إحساس اليأس إلى ظاهر البدن بالانكسار. فالمشرك يتأصل فيه هذا الخلق ويتزايد باستمرار الزمان [1].

وفي الآيات وصف حال النفس البشرية وبيان أحوالها وتقلباتها، وكل ذلك دليل على إعجاز القرآن، وأنه من عند الله، العالم بأسرار هذه النفس الخبير بها.

المحور العاشر:

وعد الله لرسوله ﷺ بإظهار دلائل صدقه في (الآفاق والأنفس) [من الآية 52-54]:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: 52-54].

علاقة المحور بمحور السورة العام:

في هذا المحور انتقال من المجادلة في شأن القرآن الذي في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ إلى الغرض الأصلي من هذه السورة؛ وهو بيان حقيقة القرآن وصدقه وصدق من جاء به.

كما أن فيه دعوة إلى إعمال النظر في دلائل صدق القرآن مثل إعجازه واتساقه وتأييد بعضه بعضًا وكونه مؤيدًا للكتب قبله، وكون تلك الكتب مؤيدة له.

(1) ينظر: التحرير والتنوير (25/ 11) مرجع سابق.

قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ أي: كيف ترون حالكم عند الذي أنزله على رسوله؟ ولهذا قال: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾؟ أي: في كفر وعناد ومشاقة للحق، ومسلك بعيد من الهدى [1].

والمعنى: ما أنتم عليه من إنكار صدق القرآن ليس صادرًا عن نظر وتمحيص يحصل به اليقين، وإنما جازفتم به قبل النظر [2].

وفي قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ وعد الله لرسوله ﷺ على سبيل التسلية والبشارة بأن الله سيغمر المشركين بطائفة من آياته ما يتبينون به أن القرآن من عند الله حقًا فلا يسعهم إلا الإيمان به، أي أن القرآن حق بيّن غير محتاج إلى اعترافهم بِحَقِّيَّتِهِ، وستظهر دلائل حَقِّيَّتِهِ في الآفاق البعيدة عنهم، وفي أنفسهم فتتظاهر الدلائل على أنه الحق فلا يجدوا إلى إنكارها سبيلًا [3].

وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ أي: في شك من قيام الساعة؛ ولهذا لا يتفكرون فيه، ولا يعملون له، ولا يحذرون منه. ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ﴾ أي: المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته، وتحت طي علمه، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن [4].

وهذه الآية تذييل ختمت به السورة وفيها جماع ما تضمنته السورة من أحوال المشركين المعاندين، إذ كانت أحوالهم المذكورة فيها ناشئة عن إنكارهم البعث فكانوا في مأمن من التفكير فيما بعد هذه الحياة، فهم ﴿فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾، وفيها إبطال لأقوالهم وتقويم

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (7/ 187) مرجع سابق.
(2) ينظر: التحرير والتنوير (25/ 16) مرجع سابق.
(3) ينظر: السابق (25/ 18-19).
(4) ينظر: السابق (7/ 187).

لاعوجاجهم، لأن ذلك كله من آثار علم الله تعالى بالغيب والشهادة.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر بعونه تمام هذا البحث، والذي في ختامه أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي:

1. تبين اهتمام العلماء والمفسرين بموضوع الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، قديمًا وحديثًا، وأصبح هذا المنهج أكثر تجليًا في الدراسات القرآنية الحديثة، ويتمثل بتناول السور القرآنية مستقلة بناء على الوحدة الموضوعية، وأن هذا الاتجاه يعد مدخلًا لفهم معاني القرآن وكشف بعض أسرار ترتيب سوره وآياته.
2. أن الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية تعني: أنّ للسورة الواحدة من القرآن الكريم موضوعًا رئيسًا، مؤتلفًا من مجموعة من المحاور التي تشكل ذلك الموضوع.
3. أن السورة اشتملت على مجموعة من المعاني والمقاصد، مع وحدة موضوعها وترابط أجزائها، وأنها تتفق مع أهداف التنزيل المكي؛ وهي إثبات حقيقة الوحي، وحقيقة الألوهية والنبوة والبعث والجزاء، والتذكير بمصارع الطغاة ومكذبي رسل الله الكرام، فهي كعادة السور المكية في مقاصدها – يغلب عليها الطابع العقدي-.
4. أن محور السورة العام هو: بيان خصائص القرآن الكريم ومكانته، وبيان موقف الكافرين منه.
5. أن المتدبر لسورة فصلت يجد أنها متناسبة بين مقاطعها وآياتها، ابتداءً وانتهاءً، وأنها على غاية من الانسجام والاتساق في سياقها، وأن محاور السورة الفرعية مُفَصِّلة في أحداثها وسياقها لموضوع السورة العام.

التوصيات

من خلال هذه الدراسة الموجزة عن الوحدة الموضوعية في سورة فصلت، نجد أن مثل هذه الدراسات لاتزال تحتاج إلى بحوث معمقة حتى تتجلى معالم هذا الاتجاه (الوحدة الموضوعية) في القرآن الكريم، ومن هنا نؤكد على التوصيات الآتية:

1. لما كان مثل هذا الموضوع يرجع إلى الاجتهاد والنظر -نظرًا لجِدَته- فإن الباحث يوصي بضرورة وضع قواعد تضبط حدود الاجتهاد في هذه الدراسات، حتى يُتفادى التكلف المخل.
2. سورة فصلت من السور المهمة التي تشرح بعض ملامح المرحلة الدعوية في مكة، وفي وقت كانت تعاني منها الدعوة أشد الظروف، ومن هنا فالسورة تحتاج إلى بحث هذه الجوانب، والإفادة منها في الوقع المعاصر.

المراجع

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. (1415هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). *صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)*، الطبعة: الأولى، دار طوق النجاة.

البقاعي، إبراهيم بن عمر. نظم *الدرر في تناسب الآيات والسور*، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر. (1418هـ)، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، الطبعة: الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. (1405هـ). *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*، الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.

حجازي، محمد محمود. (1970م). *الوحدة الموضوعية في القرآن*، مصر: دار الكتب الحديثة- القاهرة.

حوّى، سعيد. (1424هـ). *الأساس في التفسير*، الطبعة: السادسة، القاهرة: دار السلام.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. (1422هـ). *زاد المسير في علم التفسير*، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب العربي.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. (2001 م). *التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق*، ط 2،

الأردن: دار النفائس.

الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي. *روح البيان*. بيروت: دار الفكر.

الداني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد. (1994م). *البيان في عدّ آي القرآن*، الطبعة الأولى، الكويت: مركز المخطوطات والتراث.

دراز، محمد بن عبد الله. (2005م). *النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم*، دار القلم للنشر والتوزيع.

دريد، أبو بكر محمد بن الحسن. (1987م). *جمهرة اللغة*، الطبعة الأولى، بيروت: دار العلم للملايين.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. (1420 هـ). *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير*، الطبعة الثالثة، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

رشواني، سامر عبد الرحمن. (2009م). *منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم*، ط1، سوريا: دار الملتقى- حلب.

الرومي، فهد بن عبد الرحمن. (2003م). *دراسات في علوم القرآن الكريم*، الطبعة الثانية عشرة: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (1418هـ). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، الطبعة الثانية، دمشق: دار الفكر المعاصر.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمرو. (1407 هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الكتاب العربي.

سبحاني، محمد عناية الله أسد. (1994م). *البرهان في نظام القرآن*، الطبعة الأولى، دار الكتب.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (2000م). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*،

بيروت: دار إحياء التراث العربي.

سكاف، محمد حسام الدين ياسين. (2019م). نظرية الوحدة الموضوعية، *مجلة البحوث الإسلامية*، العدد (44).

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد. (1997م). *تفسير القرآن*، الطبعة الأولى، السعودية: دار الوطن- الرياض.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1986م). *تناسق الدرر في تناسب السور* الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، *أسرار ترتيب القرآن*، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. *الدر المنثور*، بيروت: دار الفكر.

السيوطي، جلال الدين. (1974م). *الإتقان في علوم القرآن*، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى. (1997م). *الموافقات*، الطبعة الأولى، دار ابن عفان.

الشوكاني، محمد بن علي. (1414هـ). فتح *القدير*، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكلم الطيب.

الطبري، محمد بن جرير. (2000م). *جامع البيان في تأويل القرآن*، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة.

طهماز، عبد الحميد محمود. (2014م). *التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم*، ط2، دمشق: دار القلم.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. (1984هـ). *التحرير والتنوير*، تونس: الدار التونسية للنشر.

عبد الرحيم، عبد الجليل. (1992). *التفسير الموضوعي في كفتي الميزان*، (ص34)، عمان: دار النشر.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن. (1995م). *تاريخ دمشق*، دار الفكر للطباعة

والنشر والتوزيع.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب. (1422 هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.

الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير. (1990م). *البرهان في تناسب سور القرآن*، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد. (1418هـ). *محاسن التأويل*، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. (1964م). *الجامع لأحكام القرآن*، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الكتب المصرية.

الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر. *غرائب التفسير وعجائب التأويل*، جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (1999م). *تفسير القرآن العظيم*، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. *النكت والعيون*، لبنان: دار الكتب العلمية- بيروت.

المراغي، أحمد بن مصطفى. (1946م). *تفسير المراغي*، الطبعة الأولى، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.

الميداني، عبد الرحمن حبنكة. (2009م). *قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل*، الطبعة الرابعة، دمشق: دار القلم.

نبي، نجية غلام. (2015م). الوحدة الموضوعية في سورة الأحقاف، *مجلة البحوث الإسلامية*، العدد (106).

اليازجي، صبحي رشيد. (2013م). الوحدة الموضوعية في سورة العصر، من منشورات، *مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات* - عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي.

References:

al-Alūsī, Shihāb al-Dīn Maḥmūd ibn ʻAbd Allāh. (1415h). *Rūḥ al-*

ma'ānī fī tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm wa-al-Sab' al-mathānī (in Arabic), 1st ed, Bayrūt: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā'īl. (1422h). *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī (al-Jāmi' al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min umūr Rasūl Allāh ﷺ wsnnh wa-ayyāmuh)* (in Arabic), 1st ed, Dār Ṭawq al-najāh.

al-Biqā'ī, Ibrāhīm ibn 'Umar. *naẓm al-Durar fī tanāsub al-āyāt wa-al-suwar* (in Arabic), al-Qāhirah: Dār al-Kitāb al-Islāmī.

al-Bayḍāwī, Nāṣir al-Dīn Abū Sa'īd 'Abd Allāh ibn 'Umar. (1418h.), *Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta'wīl* (in Arabic), 1st ed, Bayrūt: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī.

al-Bayhaqī, Aḥmad ibn al-Ḥusayn ibn 'Alī ibn Mūsá. (1405h). *Dalā'il al-Nubūwah wa-ma'rifat aḥwāl ṣāḥib al-sharī'ah* (in Arabic), 1st ed, Bayrūt: Dār al-Kutub al-'Ilmī

Ḥijāzī, Muḥammad Maḥmūd. (1970). *al-Waḥdah al-mawḍū'īyah fī al-Qur'ān* (in Arabic), Miṣr: Dār al-Kutub alḥdytht-al-Qāhirah.

Ḥwwá, Sa'īd. (1424h). *al-Asās fī al-tafsīr* (in Arabic), 6th ed, al-Qāhirah : Dār al-Salām.

Ibn al-Jawzī, Jamāl al-Dīn Abū al-Faraj 'Abd al-Raḥmān ibn 'Alī. (1422H). *Zād al-Musayyar fī 'ilm al-tafsīr* (in Arabic), 1st ed, Bayrūt : Dār al-Kitāb al-'Arabī.

al-Khālidī, Ṣalāḥ 'Abd al-Fattāḥ. (2001). *al-tafsīr al-mawḍū'ī bayna al-naẓarīyah wa-al-taṭbīq* (in Arabic), 2nd ed, al-Urdun: Dār al-Nafā'is.

al-Khalwatī, Ismā'īl Ḥaqqī ibn Muṣṭafá al-Istānbūlī. *Rūḥ al-Bayān* (in Arabic). Bayrūt: Dār al-Fikr.

al-Dānī, Abū 'Amr 'Uthmān ibn Sa'īd. (1994). *al-Bayān fī 'add āy al-Qur'ān* (in Arabic), 1st ed, al-Kuwayt: Markaz al-Makhṭūṭāt wa-al-Turāth.

Darāz, Muḥammad ibn 'Abd Allāh. (2005). *al-Naba' al-'Aẓīm Naẓarāt jadīdah fī al-Qur'ān al-Karīm* (in Arabic), Dār al-Qalam lil-Nashr wa-al-Tawzī'.

Durayd, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Ḥasan. (1987). *Jamharat al-lughah* (in Arabic), 1st ed, Bayrūt: Dār al-'Ilm lil-Malāyīn.

al-Rāzī, Fakhr al-Dīn Muḥammad ibn ʻUmar. (1420 H). *Mafātīḥ al-ghayb (al-tafsīr al-kabīr* (in Arabic), 3rd ed, Bayrūt : Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī.

Rashwānī, Sāmir ʻAbd al-Raḥmān. (2009). *Manhaj al-tafsīr al-mawḍūʻī lil-Qur'ān al-Karīm* (in Arabic), 1st ed, Sūriyā : Dār almltqá-Ḥalab.

al-Rūmī, Fahd ibn ʻAbd al-Raḥmān. (2003). *Dirāsāt fī 'ulūm al-Qur'ān al-Karīm* (in Arabic), 2nd ed ʻashrah : Ḥuqūq al-ṭabʻ maḥfūẓah lil-mu'allif.

al-Zuḥaylī, Wahbah ibn Muṣṭafá. (1418h). *al-tafsīr al-munīr fī al-'aqīdah wa-al-sharīʻah wa-al-manhaj* (in Arabic), 2nd ed, Dimashq: Dār al-Fikr al-muʻāṣir.

al-Zamakhsharī, Jār Allāh Maḥmūd ibn ʻAmr. (1407 H). *al-Kashshāf 'an ḥaqā'iq ghawāmiḍ al-tanzīl* (in Arabic), 3rd ed, Bayrūt: Dār al-Kitāb al-ʻArabī.

Subḥānī, Muḥammad ʻInāyat Allāh Asad. (1994). *al-burhān fī Niẓām al-Qur'ān* (in Arabic), 1st ed, Dār al-Kutub.

al-Saʻdī, ʻAbd al-Raḥmān ibn Nāṣir. (2000). *Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān* (in Arabic), 1st ed, Mu'assasat al-Risālah.

Abū al-Saʻūd, Muḥammad ibn Muḥammad ibn Muṣṭafá, *Irshād al-'aql al-salīm ilá mazāyā al-Kitāb al-Karīm* (in Arabic), Bayrūt: Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī.

Skāf, Muḥammad Ḥusām al-Dīn Yāsīn. (2019). Naẓarīyat al-Waḥdah al-mawḍūʻīyah, *Majallat al-Buḥūth al-Islāmīyah*, al-ʻadad (44).

al-Samʻānī, Abū al-Muẓaffar Manṣūr ibn Muḥammad. (1997). *tafsīr al-Qur'ān* (in Arabic), 1st ed, al-Saʻūdīyah: Dār alwṭn-al-Riyāḍ.

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn ʻAbd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. (1986). *tnāsq al-Durar fī tanāsub al-suwar* (in Arabic), 1st ed, Bayrūt : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah.

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn ʻAbd al-Raḥmān ibn Abī Bakr, *Asrār tartīb al-Qur'ān* (in Arabic), Dār al-Faḍīlah lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ.

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn ʻAbd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. *al-Durr al-manthūr* (in Arabic), Bayrūt: Dār al-Fikr.

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn. (1974). *al-Itqān fī ʻulūm al-Qur'ān* (in Arabic), al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Kitāb.

al-Shāṭibī, Ibrāhīm ibn Mūsá. (1997). *al-Muwāfaqāt* (in Arabic), 1st ed, Dār Ibn ʻAffān.

al-Shawkānī, Muḥammad ibn ʻAlī. (1414h). *Fatḥ al-qadīr* (in Arabic), 1st ed, Bayrūt : Dār al-Kalim al-Ṭayyib.

al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. (2000). *Jāmiʻ al-Bayān fī Ta'wīl al-Qur'ān* (in Arabic), 1st ed, Mu'assasat al-Risālah.

Ṭahmāz, ʻAbd al-Ḥamīd Maḥmūd. (2014). *al-tafsīr al-mawḍūʻī li-suwar al-Qur'ān al-ʻAẓīm* (in Arabic), 2nd ed, Dimashq: Dār al-Qalam.

Ibn ʻĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir ibn Muḥammad. (1984h). *al-Taḥrīr wa-al-tanwīr* (in Arabic), Tūnis: al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr.

ʻAbd al-Raḥīm, ʻAbd al-Jalīl. (1992). *al-tafsīr al-mawḍūʻī fī kfty al-mīzān* (in Arabic), (page34), ʻAmmān: Dār al-Nashr.

Ibn ʻAsākir, Abū al-Qāsim ʻAlī ibn al-Ḥasan. (1995). *Tārīkh Dimashq* (in Arabic), Dār al-Fikr lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ.

Ibn ʻAṭīyah, Abū Muḥammad ʻAbd al-Ḥaqq ibn Ghālib. (1422 H). *al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-ʻAzīz* (in Arabic), 1st ed, Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah.

al-Gharnāṭī, Aḥmad ibn Ibrāhīm ibn al-Zubayr. (1990). *al-burhān fī tanāsub suwar al-Qur'ān* (in Arabic), al-Maghrib: Wizārat al-Awqāf wa-al-Shu'ūn al-Islāmīyah.

al-Qāsimī, Muḥammad Jamāl al-Dīn ibn Muḥammad. (1418h). *Maḥāsin al-ta'wīl, al-Ṭabʻah al-ūlá* (in Arabic), Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah.

al-Qurṭubī, Abū ʻAbd Allāh Muḥammad ibn Aḥmad. (1964). *al-Jāmiʻ li-aḥkām al-Qur'ān* (in Arabic), 2nd ed, al-Qāhirah : Dār al-Kutub al-Miṣrīyah.

al-Kirmānī, Maḥmūd ibn Ḥamzah ibn Naṣr. *gharā'ib al-tafsīr wa-ʻajā'ib al-ta'wīl* (in Arabic), Jiddah: Dār al-Qiblah lil-

Thaqāfah al-Islāmīyah.

Ibn Kathīr, Abū al-Fidā' Ismā'īl ibn 'Umar. (1999). *tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm* (in Arabic), 2nd ed, Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzī'.

al-Māwardī, Abū al-Ḥasan 'Alī ibn Muḥammad. *al-Nukat wa-al-'uyūn* (in Arabic), Lubnān: Dār al-Kutub al'lmyt-Bayrūt.

al-Marāghī, Aḥmad ibn Muṣṭafá. (1946). *tafsīr al-Marāghī* (in Arabic), 1st ed, Miṣr: Sharikat Maktabat wa-Maṭba'at Muṣṭafá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Awlāduh.

al-Maydānī, 'Abd al-Raḥmān Ḥabannakah. (2009). *Qawā'id al-tadabbur al-amthal li-kitāb Allāh 'Izz wa-jall* (in Arabic), 4th ed, Dimashq: Dār al-Qalam.

Nabī, Najīyah Ghulām. (2015). al-Waḥdah al-mawḍū'īyah fī Sūrat al-Aḥqāf, *Majallat al-Buḥūth al-Islāmīyah* (in Arabic), al-'adad (106).

al-Yāzijī, Ṣubḥī Rashīd. (2013). al-Waḥdah al-mawḍū'īyah fī Sūrat al-'aṣr, min Manshūrāt, *Majallat Jāmi'at Filasṭīn lil-Abḥāth wa-al-Dirāsāt-'Imādat al-Dirāsāt al-'Ulyā wa-al-Baḥth al-'Ilmī* (in Arabic).